

إسكندر لوقا يوثق يوميات الحرب على سورية في قصة قصيرة جداً

إسماعيل مروة

كتابتهم تتركز حول قراءة الراي غير المكتوي بأتون ما يجري، فمن يده في النار فليس كمن يده في الماء... هل سمعتم مطلقين عرباً يتحدثون عن الحرب في سورية؟! هل رأيتم حياديتهم في الانفاس وتنظيراتهم وأستدثهم عليك، وهم لا يفهمون مقدار ما دفع السوري من دمه وشهادته وأرضه وماله واقتصاده؟! في الحرب على سورية وحدها من دون العالم شهدت عدداً من المطلقين الذين يمارسون هذه الأستدّة ليعلموا السوري، وكأنهم يطلون الكرة الأرضية على مجسم لا تعرجات فيه.. وعدد من الأبداء كتبوا عن الحرب على سورية فجادوا بقبصص وروايات كل ما فيها يخلو من السوري، وكأن سورية خلو من السوريين!



إسكندر لوقا

يجد أمامه سوى التوجه إلى روما حيث شركته الأم، إلى هؤلاء المنتحين أصحاب الحى الشقراء للدلالة على أنهم غريباء.. إلى آخر نص من نصوص المجموعة نجد حكايات شاهدها المؤلف أو سمع بها، أو رويت له، أو ربما رأها في وسائل الإعلام، فقام بصياغتها بصياغة جديدة.. ويحمد للكاتب أنه رواها كما هي، فلم يخضعها لفن القص الذي يتقنه وله إسهامات كثيرة فيه، فجاءت قصصاً من زمن الحرب، وهي قصص توثيقية بشكل قصصي تتبعت عن الخيال والتنجيح والتخييل، وربما رأى الكاتب أن ما يجري على أرض الواقع هو أغرب من التخييل القصصي، فنقل عن تقنيات المصاوير والسردي ليقى في إطار التصوير كما يجري على أرض الواقع من غرائب تتفوق على الخيال، وربما شاهد أحداثاً على الشاشات، وقرأ في وسائل الإعلام أغرب من هذه القصص.. وإن كان لي من مأخذ نقدي، فهو أن الكاتب لم يقم بتعميق الحدث بما فيه الثقافية، ولم يدرس ارتداداته الاجتماعية والسياسية على المجتمع والأفراد، واكتفى بالنقل والتوثيق، وإن توارى وراء فقرة القص.

وعند فتح ص٧٩ من دون تحديد مسبق جاء في أول ص٧٨ «لقد سيقنا ابنك باستشهاد، نصرتنا على الأعداء يا أم الشهيد نويل. وأنا سابقى أردت منك: الحياة تمضي وكذات الساعة لا تتوقف..» وفي الصفحة ٧٩ المقابلة تقرأ «في نهاية كل حوار بين الرجلين، المنتحين، من زمرة أصحاب الذقون الطويلة التي تغطي حتى منتصف الصدر، والرمادي والأشقر وسوى ذلك، كانا يتسابقان حول الأولوية في أغرب ما قلنا به من حوادث طريقة تستدعي الضحك بصوت عال».

القصص وتقنياته

إنها كما رأينا مجموعة من القصص القصيرة والقصيرة جداً، من باب الكنيسة والشهداء الذين يحتفلون باستشهادهم، فيستحي الأب الذي يحتفل بعرض ابنته منهم، إلى جريس الذي كان وكيلاً لشركة رخام، فلم

صورتها وصور عدد من رفاق السلاح، في طريقها إلى اللاذقية، إذ شوهدت، برأ بوعودها، وهي كانت ترضخ على رصيف كورنيش المدينة وبيدها باقات من الزهور تنثرها على السيارة وعلى الرصيف أمامها، وإيمانها بالنصر كتبت إلى قيادة الجيش ترجو منحها فرصة لحمل السلاح مع فتيات أخريات حتى سمعت بأذنها صوت الرئيس بشار الأسد يخاطب قائد المطار اللواء منذر زمام...» «بعد أن تالفت ديانا سألت: حادث؟ قال: ذقينة هاون على مقربة المنزل. الحمد لله جاءت سليمة. سألت نفسي: سليمة؟ كيف والرجل لا يمكنه الوقوف على قدمين بل على قدم واحدة مع عكازه؟ كيف جاءت سليمة؟ إنه استثناء بين من عرفت حتى اليوم من مصابين في العدوان على بلدنا منذ خمس سنوات حتى اليوم، وفرت أن البيت وترحلوا إلى أي مكان، بعدها سيكون بيتكم في خير كان وأعذر من أنذر».

بين مجموعة من النساء، وجرى تقيداً أديباً إلى وراء ظهورنا، وتحت الضغط كنا نقف الواحدة بعد الأخرى بينما المنادي يطرح سؤالاً من يريده هذه المرأة الجميلة؟ المرأة الشابة؟ المرأة التي ستكون في خدمة المجاهد منكم؟» «تكاد لا تصدق أم يوسف أن مطار كوبرس العسكري قد فك الحصار عنه، حتى سمعت بأذنها صوت الرئيس بشار الأسد يخاطب قائد المطار اللواء منذر زمام...» «بعد أن تالفت ديانا سألت: حادث؟ قال: ذقينة هاون على مقربة المنزل. الحمد لله جاءت سليمة. سألت نفسي: سليمة؟ كيف والرجل لا يمكنه الوقوف على قدمين بل على قدم واحدة مع عكازه؟ كيف جاءت سليمة؟ إنه استثناء بين من عرفت حتى اليوم من مصابين في العدوان على بلدنا منذ خمس سنوات حتى اليوم، وفرت أن البيت وترحلوا إلى أي مكان، بعدها سيكون بيتكم في خير كان وأعذر من أنذر».

الذويح لأن الكاتب لم يكرس جهوده لجوانب القص، وانزاح إلى الراي والثقافة والسياسة، فغلبت الصفة البحثية عليه، وتوقفت على الصفة الإبداعية، وربما كانت هناك أسباب أخرى أجعلها أسهمت في تكريس وجوده كاتباً سياسياً على حساب الجانب الإبداعي.. وهذه المجموعة «كتاب يبحث عن عنوان» تنضوي تحت جنس القصة القصيرة، وفي بعض النصوص تحت ما يسمى القصة القصيرة جداً، تلك القصة التي تقدم فقرة محددة بسرعة وبجزم محدودين أيضاً، وضمن هذا الراي تقرأ قصص هذه المجموعة من «عنوان القوية» إلى «زمن الفراغ» ففي تسعين صفحة قدم الكاتب اثنتي عشرة وأربعين قصة قصيرة هي من الوضوات السريعة المعبرة، يدخل حدثها مباشرة، ليعطي العبرة في وقت قياسي.

أرشفة وتوثيق وخيال

«أمام جمع من الرجال وضعني الرجل

أن أي تاج يصدر عن أديب يعيش في سورية، ويصمم على عدم مغادرتها قد يوصف بأنه ينحاز إلى جانب النظام، والأمر أكثر تعقيداً لشخصية اعتبارية مثل الدكتور لوقا.. ولكن هذه المحاذير كلها لم تمنع الكاتب من تدوين قصصه، فمارس حقه والواجب عليه، ليؤمن قصصاً رآها وعاشها حتى يتقدم من ذاته راضياً بأنه لم يكن متلقياً سلبياً تجاه ما يراه وما يعيشه.

قصص قصيرة جداً

كثيرون من القراء والمتابعين ينظرون إلى الدكتور لوقا بشخصية الأكاديمية والاعتبارية فهو أستاذ أكاديمي، وكاتب مقالة سياسية، وفي جوانب من إنتاجه هو مؤرخ على مستوى عال، وقليلون الذين يعرفون أن الدكتور لوقا بدأ قاصاً عام ١٩٥٢، وله أكثر من مجموعة قصصية تجاوزت عشر مجموعات، إضافة إلى عدد من الروايات، وهذا النتاج القصصي والروائي الثمر لم يأخذ نصيبه من

العنوان الذي اختاره د. لوقا لمجموعته القصصية ليس جيداً بشكل تام، فتمتعت كتب حملت عنواناً بلا عنوان، تبحث عن عنوان، أو أي شيء من هذا القبيل، ولكن الدراسات هي التي حملت هذا العنوان المغير. وفي ميدان القص من الصعب أن يترك العمل باحثاً عن عنوان، ومن المغامرة أن يترك قاص قصصه يبحث عن عنوانها، في الدرجة الأولى حملت سمة الكتاب، ولم تحمل سمة القصة بهذا العنوان الذي جعلها تحسر التجنيس الأدبي، وإن كان العنوان الفرعي يحاول أن يرس معالماً.. إضافة إلى أن الغلاف لم يحمل أي رسم أو صورة، وهذا الفعل في القصة والرواية غير مسوغ من دور النشر، فللقصص طريقة خاصة في إخراج أغلفتها، ومع ذلك ترك الدكتور الفاضل إسكندر لوقا مجموعته القصصية الحميمة تقابل قارئها مستفيدة من رمان القص، ومن إغراء القراءة.. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن ترك المجموعة تبحث عن عنوانها فيها من الحكمة ما فيها، فكما بدأت بأن تحليل ورواية الحرب على سورية صارت مرهونة بالأخر أكثر من ارتهاؤها للسوري الذي يعاقب أوار الحريب!! لماذا سيطلق عليها من تسمية؟ سيأتي من يقول، وآخر يرفض، وثالث يصف، وهكذا في سلسلة لا تنتهي، وكما قلت فإن الحرب على سورية وحدها كرس مفهوم الآخر وهيمنته على السوري، فهو أدري، وهو أصدق، وهو أكثر خبرة!!

لذلك كانت حكمة البحث عن عنوان، وترك العنوان للرائي ليضعه بنفسه، ربما اختار أحد عناوين القصص وأطلقها على المجموعة، وربما اختار صفة، وربما اختار سمة مشتركة ليصف بها المجموعة كلها، وخاصة



صورة الثورة الجزائرية في الصحافة السورية

دراسة لتوجهات الراي العام السوري وتياراته السياسية



الأمر الذي يبين العلاقة التاريخية بين أهالي الشام والشعب الجزائري خاصة والمغاربي عامة. وهو ما تعالج هذه الدراسة من خلال موقف الشعب السوري من ثورة التحرير الجزائرية، حيث صدر عن وزارة الثقافة- الهيئة السورية للكتاب، كتاب بعنوان الثورة الجزائرية وهو عبارة عن دراسة لمواقف التيارات السياسية في الصحافة السورية من (١٩٥٥-١٩٥٧م)، للدكتور أحمد حلواني، ويضم الكتاب ستة فصول وهي: نبذة عن تاريخ الصحافة السورية، سورية وانطلاقة الثورة الجزائرية، الثورة الجزائرية في الصحافة الثقافية السورية، الثورة الجزائرية في الصحافة السورية غير الحزبية، الثورة الجزائرية في الشعر السوري، والفصل الأخير يتناول جوانب إعلامية أخرى.

إسارة سلامة

لم تكن بلاد الشام في التاريخ الحديث ممراً أو معبراً عادياً للحجاج والمهاجرين المغاربة، بل كانت نقطة ارتكازاً لتماجية المسيرة الحضارية مع الأخوة السوريين، متضمنة الأمان والتزود الثقافي والفكري من علماء الشام، والتواصل مع أهلها بحكم ما عرف عنهم من طيبة ومودة، إضافة إلى زيارة معالمها التي تشكل منارات هداية وعمران حضاري.

ومن هذا المنطلق اختار الأمير عبد القادر دمشق ملجأ وموطناً مع رجاله وأهله ومؤيديه، فصار فيها زعيماً يشار إليه بالبنان وحظي بالتحاف جماهيري من أهالي الشام بمختلف فئاتهم وطوائفهم.

من أجل حرية الأمة العربية

ولقد كانت سورية في مقدمة الأقطار العربية التي أعلن شعبها عن تأييده المطلق للثورة الجزائرية، وتعلقه بها، واستعداده لكل تضحية في سبيلها. فعندما اندلعت الثورة الجزائرية، كانت سورية تمر بمرحلة تاريخية عاصفة، تحيط بها الإمارات والأحلاف من كل الجهات ورغم ذلك فقد أصر الشعب السوري على تلبية أصالة وجوه الروايات المصرية مع الشعب الجزائري، وأحكم الانطلاق مع الثورة الجزائرية في مسيرته الثقافية المعادية للاستعمار، وقهر الشعوب، ومن أجل حرية الأمة العربية التي تمثل الجزائر عمقها وكرامتها.

لهذا فإن دراسة صورة الثورة الجزائرية في

أرضين زرعت رمالها للطماعين بها.. مقابر يذكر رضا رصافي في الجزء الرابع من كتابه «على جناح الذكرى» الذي يتحدث فيه عن حكاية حياته وملاحم مدينة حمص التي تقع في وسط سورية وفيها الكلية الحربية إلى جانب جامع الصحابي خالد بن الوليد، ويقول: وفي صيف ذلك العام ١٩٥٦ بلغت انتباهه، في مسجد الحى، ثلاثة شبان يؤدون الصلاة وأيديهم مسبلة، فيدرك أنهم من أتباع «المنهج الملكي»، ولا عهد للبلد بأتباع لهذا المنهج، فيسأل عنهم ويعرف أنهم جزائريون، وأن لهم إخواناً أوفدتهم «جبهة تحرير الجزائر»، إلى سورية، بعضهم تلقى العلم في مدارسها، وبعض تلقى التدريب العسكري في كلياتها الحربية، حتى يعودوا للاشتراك في معارك الثورة الجزائرية التي كان قد من على تشوبها ستة وعاش السنته، ويعرف بالمناسبة أن الجمهورية العربية السورية قد زودت الثورة من السلاح والعتاد الفرنسي الذي كانت قد تسلمته من فرنسا مع «جيش الشرق» يوم نالت استقلالها. وهكذا فإن صورة الثورة الجزائرية في الصحافة السورية كانت صورة مشرفة عبرت فيها الجماهير عن أمالها الطموحة في النصر وتحقيق وحدة النضال العربي، وهذا ما يؤكد فرضية هذه الدراسة بتلاحم الصحافة والشعب بالثورة الجزائرية تلاحماً يرمز بمدى وحدة المصر.

تغسل القرب الذي نُسب، والبيض الوقاها؟ هذه الأرض التي مهدت جناحاً للأعالي، ورميت في الدم للموت جناحاً جرحنا ذاك الذي ينزف نارا وكفاحاً واحد لم ينقسم إلا ميادين وسلاحاً ثم يوضح هدفه بالاسم فيقول: في عروقتي، أنت في أماتنا، في كل خاطر يا دوى الصبيحة الحمراء في قلب الجزائر كما أن الشعراء السوريين عموماً كانوا ينظرون القصيدة تلو القصيدة عن الجزائر وتورتها. وتقتطف هذه الأبيات للشاعر ياسين الفرجاني، الذي كان محافظاً «والبا» لحفاظة حماة وسط سورية حين استقبل وفداً من الأخوات الجزائريات من جبهة التحرير الوطني الجزائرية زرن حماة عام ١٩٦٠م زمن الجمهورية العربية المتحدة. هذي أنسابت الجزائر عرياء أفتحم.. المخاطر حطمت سيدى أستبين الفجر في حلك.. الدياجر

أجل خدمة القضية الوطنية، والمصلحة القومية العربية عامة والقضية الشامية خاصة، وأن مهما الأساسي هو خدمة الحركة الوطنية والاستقلال، وأنها تستعسى جامدة من أجل بلوغ ذلك الهدف.

الثورة الجزائرية في الشعر السوري

انعكس موقف الجماهير السورية من الثورة الجزائرية على جميع فئات الشعب السوري وشراخه بتخصصاته المختلفة، ويمكن أن نتوقف عند الشعراء لعلاقتهم بالإعلام الصحفي من جهة والشاعر الحساس والمعبرة من جهة ثانية، فأخذ الشعراء يتبارون في القصائد بالوان مختلفة للتعبير عن روح تأييد الجماهير لها ومباركتها ووضعها موضع القلب من الجسد كله. ولقد كان الشاعر سليمان العيسى في مقدمة الشعراء الذين أفضوا عن هذا التأييد لذلك أبداً باقتطاف بعض الأبيات من قصيدة «ميدان الشعب» التي أهداها إلى ثورة الجزائر.. وقود الفجر العربي الجديد. لم أزرها هذه الأرض التي تسقى الصباحا بدمي، لم أنسى كي يولد تاريخي السلاحا لم أكن خلف الصخور، السمر صورا، وجراحا

ثروات وروحية عارمة، ليتوصل في مرحلة ثانية إلى فرض هيمنته الثقافية، التي من عناصرها الأولى الاندماج الزيف والمسح والتذويب، بغية طمس المعالم القومية والثقافية والروحية للجزائر، ومحو الشخصية الوطنية للجزائريين.

الثورة الجزائرية والصحافة السورية غير الحزبية

وفي الفصل الرابع يتناول بالدراسة الصحافة السورية غير الحزبية التي ساندت ثورة الشعب الجزائري وقرته تقديراً كبيراً وتوجّهت إليه لتكون إلى جانبه، وقد مثل الصحافة غير الحزبية في هذه المرحلة التاريخية من الثورة الجزائرية كل من: صحيفة الأيام وصحيفة النصر. صحيفة الأيام: كانت جريدة يومية سياسية وكان أصحاب امتيازها من كبار الزعماء السياسيين: هاشم الآسائي، الذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمهورية العربية السورية، ولطفي الحفار، وسعد الله الجابري، وهم من قادة الثورة السورية اللذين أصبحوا أيضاً رئيسين لمجلس الوزراء، ثم إبراهيم هنانو، وعارف التندقي وفكري البارودي، وهم من أبرز القادة أيضاً. صدر العدد الأول منها في ١٠/٥/١٩٣٧، وقد شرحت رئاسة التحرير في افتتاحية هذا العدد توجه الجريدة موضحة أنها ما أنشئت إلا من

الصحافة إنما تمثل أيضاً دراسة لتوجهات الراي العام السوري وتياراته السياسية المختلفة من دون استثناء. وهذا التوجه يقودنا إلى طرح إشكالية هذه الرسالة، وهي: ماذا قدمت الصحافة السورية للثورة الجزائرية في رسالتها الإعلامية؟ وكيف صورتها؟ ويتبين عن هذه الإشكالية تساؤل واحد شامل: ما الدوافع الحقيقية التي حركت الصحافة السورية نحو الاهتمام الكبير بالثورة الجزائرية؟ أما فرضية البحث فإنها تكشف تلقائياً من طبيعة التساؤل وهي: كل الصحافة السورية على تباين توجهاتها التزمت بقوة بالثورة الجزائرية.

سورية وانطلاقة الثورة الجزائرية

لم يعرف التاريخ الحديث مأساة استعمارية بغیضة مثل مأساة الاحتلال الفرنسي للجزائر عام ١٩٣٠م، فقد تجلى الاستعمار البغيض بأبش معانيه، وانضوت سياسته وفلسفته في أقيع صورها وأشكالها، فلم يتكف باستغلال الأرض، ما فوقها وما تحتها، واستعباد الإنسان الجزائري، وتسخيره في شتى الميادين، ولكنه تعدى ذلك إلى تشويه التاريخ وإفراغه من الحقائق وذلك ليتكمن في المرحلة الأولى من فصل المجتمع الجزائري عن قاعدته المتينة التي يرتكز عليها، والمنتملة في ثقافته الوطنية وما تحمله من